التغلغل الأجنبي في إيران
وانعكاساته الاجتماعية – الاقتصادية والسياسية

د. فرح صابر محمد / جامعة الكرخ للعلوم

الملخص:

يمثل موضوع التغلغل الاجنبي في ايران واحدا من اهم المواضيع في تاريخ ايران الحديث، اذ امتدت آثارها الى كل جانب من جوانب المجتمع والدولة في هذا البلد الذي يحتل موقعا استراتيجيا مهما في الشرق الاوسط. وحظت ايران على الدوام باهتمام كبير من جانب القوى الكبرى التي تنافست منذ وقت مبكر بغية الاستحواذ على مواقع نفوذٍ لها في منطقة الخليج العربي والشرق الاوسط عموماً، تمهد لها سبل الهيمنة وتحقيق النفوذ الاقتصادي والسياسي.

وتهدف الدراسة الحالية باتباع آلية الرصد والتحليل الى تسليط الضوء على حقبة مهمة من تاريخ تنافس القوى الكبرى على إيران خلال العهد القاجاري، والذي قاد تدريجيا الى تعميق التغلغل الغربي في هذا البلد. فمنذ البداية اتخذت المنافسة الانكلو – روسية طابعا صراعيا، الا فيما ندر، عندما اضطر الطرفان الى اجراء التسويات المتبادلة لحماية نفوذهما في ايران. وشكلّ هذا التنافس الذي اتخذ شكلا ظاهريا احيانا، ومستترا او خفيّا في اوقاتٍ اخرى، على امتداد القرن التاسع عشر والربع الاول من القرن العشرين عنصرا شديد الاهمية والتأثير في توجيه سياسات ايران داخليا وخارجيا.

وبالطبع لا يمكن فهم وتحليل العديد من التطورات التي مرّت بها ايران في تاريخها الحديث، سواء على الصعيد الداخلي المحلي، او الخارجي الا في سياق ادراك طبيعة العلاقات التي ربطت ايران بهذه القوى المهيمنة التي فرضت معادلات القوة الخاصة بها على امتداد فترة نفوذها في هذا البلد.

واخيرا فان الدراسة توفر الفرصة لمناقشة الآثار الاجتماعية– الاقتصادية والسياسية التي خلفها التغلغل الغربي، واتصال ايران بالسوق الرأسمالية العالمية على التكوينات الاجتماعية والاقتصادية فيها، والتغيرات العميقة لتي نجمت عنها، ان كان على مستوى وظيفة الدولة وبنيتها، او على مستوى الاقتصاد، والتي كادت في نهاية الامر ان تطيح بالهيمنة الغربية على هذا البلد الشرق الاوسطي المهم. لذا كان من مصلحة هذه القوى الكبرى ،ولاسيما بريطانيا التحرك سريعا لمنع توجه الاحداث في ايران بالضد من مصالحها الواسعة والمتشعبة فيها.

الكلمات المفتاحية: (القاجار، ايران، الامتيازات، روسيا، بريطانيا).

The foreign Penetration in Iran: Its Social-Economic and Political Reflections

Dr. farah sabir/ Al Karkh University of Science

Abstract:

The current study aims on the way of observation and the historic continuation and the analysis to put the light on a very important period from the west submerge in Iran, during the Qajar Iran period. Historical; the Anglo - Russian competition continuous, which took competition form and struggle alongside of the nineteenth century, and the beginning of the twentieth century, as a lonely element and systematics, and very strong influence in the Iran interior and external policy.

It is impossible to understand numerous sides of the developments which happened in the modern Iran, whether on the local policy, and may be at the same level on the level of the external policy, except on the light of understanding the nature of the relations which banded Iran with these great forces, which took what we can describe: nature of struggle – cooperation on the spot light on the strength balance, which had been imposed by these surveillance forces, which had been continued for long decades expanded until the first quarter of the twentieth century

Also this study prepares the opportunity to know the trace which had been left behind of the west submerge, and the Iran connection with the international capitalist market, on the international socialist and economic structures in this country, and the deep alteration which starts to observe it, whether on the duty of the country and its structure, or on the economics level.

Key word: (Qajar, Iran, concessions, Russia, Britain).

مقدمة:

يُعد موضوع التغلغل الاجنبي في ايران اهم المواضيع في تاريخ ايران الحديث واخطرها، لان اثارها مست كل جانب من جوانب المجتمع والدولة في هذا البلد الكبير والمهم في الشرق الاوسط. وكانت ايران لاعتبارات شتى موضع اهتمام القوى الكبرى المتنافسة في اطار اهتمامها المبكر بايجاد مواقع نفوذ لها في منطقة الخليج العربي والشرق الاوسط عموماً، تفتح امامها سبل الهيمنة، وتحقيق المكاسب في شتى المجالات.

والدراسة الحالية تهدف عن طريق الرصد، والمتابعة التاريخية، والتحليل، الى القاء الضوء على حقبة مهمة من تاريخ التغلغل الغربي في ايران في العهد القاجاري. فتاريخياً تواصلت المنافسة الانكلو- روسية التي اتخذت في غالب الاحيان شكلاً صراعياً على

امتداد القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كعامل منتظم ووحيد، وشديد التأثير، في سياسات ايران الداخلية والخارجية.

كما تهئ الدراسة الفرصة لمعرفة الاثار التي خلفها التغلغل الغربي، واتصال ايران بالسوق الرأسمالية العالمية على التكوينات الاجتماعية والاقتصادية في هذا البلد، والتغيرات العميقة التي بدأ يشهدها سواء على مستوى وظيفة الدولة وبنيتها، او على مستوى الاقتصاد.

والسؤال الجوهري الاخر الذي تطرحه الدراسة يتعلق بمدى استجابة القاجار للتحدي الغربي الذي تمثل بالاختراق الاقتصادي والسياسي لايران، وهل نجحوا في الاستجابة الواعية له، ام العكس هو الصحيح، عندما قاد الفشل في الاستجابة لهذه التحديات الى تحولات عميقة اثرت على علاقة شاهات القاجار بمواطنيهم، وتركت اثارها على مصير النظام القاجاري برمته.

مدخل تاريخي

بدأت اوربا منذ القرن الخامس عشر تشهد تغيرات اجتماعية واقتصادية مهمة.أذ بدأت تظهر اولى العلاقات الرأسمالية في الانتاج الذي ادى الى نمو التبادل البضاعي، وتراكم رأس المال، وبداية ظهور وحدات سياسية متماسكة. كما ان حمى الاستكشافات الجغرافية والبحث عن الاسواق الخارجية، والتجارة مع الشرق سيطرت على معظم القوى الاوربية الرئيسة آنذاك.

كانت ايران اولى الاقطار التي جلبت اهتمام القوى الاوربية المتنافسة لاسباب عديدة، فأنها كانت احدى القوتين الرئيستين في الشرق الى جانب الدولة العثمانية، كما انها ظلت تؤلف طريقاً تجارياً مهماً بين اوربا والشرق الاقصى، بالرغم من تراجع هذا الدور بفعل الاستكشافات الجغرافية. وقد حدث اول اتصال مباشر بين ايران والقوى الاوربية في اواخر القرن السادس عشر حينما جاء الشاه عباس الكبير(١٥٨٨-١٥٢٩) الى الحكم. ففي تشرين الثاني عام ١٥٩٨ استقبل الشاه في بلاطه بعثة انكليزية برئاسة انطوني شيرلي. ضمت البعثة اضافة الى اخيه روبرت شيرلي ستة وعشرين رجلاً. وكان هدف البعثة الحصول على تسهيلات وامتيازات للتجارة الانكليزية مع ايران، ومحاولة اقناع الشاه بتشكيل تحالف مع القوى الاوربية ضد الدولة العثمانية. وقد تناغمت اهداف البعثة مع خطط الشاه عباس الذي كان

يتهيأ في حينه للحرب ضد العثمانيين (لوريمر، د.ت، ص٢٤). وعلى اثرها اصدر الشاه مرسوماً ملكياً " فرمان" يأمر فيه بتوفير الحماية الكاملة للتجار الغربيين الذين يتاجرون مع ايران بثرواتهم، وضمان ممارسة طقوسهم الدينية بكل حرية (أمين، ١٩٧٧ ،ص٢١).

سعت شركة الهند الشرقية الانكليزية التي تأسست عام ١٦٠٠ بهدف المتاجرة مع الشرق الى توثيق علاقاتها التجارية مع ايران، بعد ان بدأت نشاطاتها بالمتاجرة مع الهند أولاً. وقد نجحت الشركة التي ارسلت مبعوثين عنها الى ايران في عام ١٦٥١ لاستطلاع الوضع فيها، بالحصول على امتيازات جديدة للتجار الانكليز مع الشاه (أمين،١٩٧٧ ، ص ص١٣-١٤).

كما حظيت الشركة بامتيازات اخرى في ايران بعد اتفاقية"ميناب" التي عقدتها مع الشاه عباس في كانون الثاني عام ١٦٢٢ والتي كانت اهم بنودها اعفاء التجار الانكليز من الرسوم الكمركية في هرمز وكمبرون والمواني‌ء الايرانية الاخرى على الخليج، مقابل مساعدته في تقديم الدعم البحري اللازم له لطرد البرتغاليين من هرمز، علاوة على مساعدة ايران لاستعادة سيادتها على بعض المناطق في سواحلها الشرقية التي كان قد احتلها البرتغاليون (قاسم،١٩٨٥،ص ص ٩٩-١٠١؛العابد، ١٩٧٩، ص٢٤).

كذلك فان الهولنديين الذين دخلوا حلبة المنافسة مع الانكليز والبرتغاليين عندما اسسوا شركة الهند الشرقية الهولندية عام١٦٠٢ للمتاجرة مع الشرق، حصلوا على فرمان من الشاه عباس عام ١٦٢٣، تضمن امتيازات وتسهيلات تجارية للتجار الهولنديين (الربيعي،١٩٧٩، ص ص ٣٧-٤٥). لذلك يعد بعض المؤرخين خطوة الشاه هذه أنها اسهمت في ادخال المنطقة ضمن دائرة الصراع والتنافس بين القوى الاوربية (الخولي، وآخرون،١٩٦٧،ص ص ٤٤٢-٤٤٣).

برز اهتمام روسيا بأيران بشكل واضح في عهد بطرس الكبير(١٦٨٢- ١٧٢٥). فقد كان القيصر الروسي يخطط من اجل السيطرة على تجارة الحرير الايراني، وعلى بحر قزوين. ففي عام ١٧١١ نجح الروس في اقناع تجار الحرير في ايران، الذين كانوا من الارمن اساساً، بتصدير الحرير الايراني الى اوربا عن طريق روسيا بدلاً من اراضي الدولة العثمانية. وعزز الروس نجاحهم هذا بعقد اتفاق مماثل مع التجار الانكليز لتصدير بضائعهم الى ايران عن طريق الاراضي الروسية، الى جانب الحرير الذي كانوا يصدرونه الى اوروبا(Benjamin,1887,PP.416-417) .

وفي الاطار نفسه ارسل القيصر في العام ١٧١٥ سفيراً الى ايران يمثل بلاده هناك، ولاقناع الشاه بعقد معاهدة تجارية بين الطرفين. وقد اثار وصول السفير الروسي الى البلاط الايراني الدول الاوربية الاخرى (احمد، ١٩٨٥، ص١٥ ؛ Lockhart,1958,P.59). وفي عام ١٧١٧ تم ابرام معاهدة بين روسيا وايران منحت التجار الروس حرية ممارسة

تجارتهم في انحاء ايران دون قيود. وبعد عامين تم تعيين قنصل روسي في رشت (احمد، ١٩٨٥، ص ١٥؛ Lockhart,1958,P.59).

ولعل اوضح الاشارات على اهتمام الروس بايران تمثلت في قيام بطرس الكبير بقيادة الحملة العسكرية المعروفة تاريخياً بأسم "المسيرة الفارسية ١٧٢٢-١٧٢٣" [١] التي توجهت نحو ايران. وامام تراجع القوات الايرانية اضطر الشاه طهماسب الثاني(1722-1732) الى توقيع"معاهدة تحالف" مع روسيا في الثاني عشر من ايلول عام ١٧٢٣. فأضافة الى الاراضي التي تنازلت عنها ايران لصالح روسيا والتي شملت مدن دربند وباكو، ومقاطعات كيلان ومازندران واستراباد، تضمنت المعاهدة ايضاً بنوداً عديدة اهمها، ضمان حرية التجارة والتنقل بين الطرفين، مقابل دعم الروس للشاه للبقاء في الحكم.(الكسييف، وآخرون،١٩٧٤،ص٤؛ Lockhart,P.24)

وبعد وفاة بطرس الكبير، واصلت روسيا تعزيز مكاسبها في ايران. ففي عام ١٧٣٢ وقعت الدولتان معاهدة رشت التي تضمنت امتيازات اقتصادية للروس بما فيها اعفاء تجارتهم التي تمر بايران من الضرائب (Curzon,1966,PP.734-35; Ivanov,1952,P.8) . وفي معاهدة كنجة التي وقعت عام ١٧٥٣، والتي اعاد فيها الروس للايرانيين مدينتي دربند وباكو التي كانت ايران قد خسرتهما اثناء حملة بطرس الكبير على الاراضي الايرانية، اكدت المعاهدة من جديد مصالح روسيا التجارية في ايران (Curzon,1966,PP.734-35; Ivanov,1952,P.86)

ومع نهاية القرن الثامن عشر كانت المصالح الروسية في ايران توالي صعودها، خصوصاً مع عصر الامتيازات الاجنبية التي دشنها القاجار بعد وصولهم الى السلطة في ايران خلال الحقبة (١٩٢٥-١٧٩٦).

كانت لروسيا القيصرية مكاسب كبيرة في ايران، وتمكنت من التغلغل في المصالح الاقتصادية والسياسية الايرانية لمدى ابعد حتى من بريطانيا في بعض الحالات، بحكم الموقع الجغرافي القريب الذي سهل على روسيا تحقيق هذا الامر.

حقق الروس مكاسب مهمة للغاية منذ الربع الاول من القرن التاسع عشر. فأثر الحرب الايرانية- الروسية الثانية ١٨٢٦-١٨٢٨ [٢] وهزيمة الجيش القاجاري امام الروس، فرضت روسيا على ايران معاهدة تركمانجاي التي تم التوقيع عليها في الثاني والعشرين من شباط عام ١٨٢٨، وتضمنت شروطاً قاسية جداً. فاضافة الى الاراضي والمياه التي تخلت ايران عنها لروسيا، فرضت الاخيرة عليها غرامة حربية كبيرة قدرت بخمسة ملايين تومان(ما يعادل ٢٠ مليون روبل روسي).

وقد منحت المعاهدة تسهيلات كبيرة جداً للتجار الروس، وخاصة في المناطق الشمالية من البلاد والتي كانت تعدها روسيا مجالاً حيوياً لها. كما اقرّت الامتيازات الاقتصادية التي حصلت عليها روسيا بموجب معاهدة كلستان في ملحق تجاري الحق بالمعاهدة والذي حدد الرسوم الكمركية على البضائع الروسية الواردة الى ايران بـ٥%، واقل احياناً، علاوة على مزايا تجارية اخرى (Hurwitz,1959, PP.96-102; Ramazani,1966,P.46)

استثمر البريطانيون والروس كل فرصة ممكنة لزيادة نفوذهم في ايران. ولاسيما ان النفط الايراني الذي اكتشف بكميات تجارية عام ١٩٠٨، قد بدأت تزداد اهميته في نظر الرأسماليين البريطانيين خاصة بعد ان تحول الاسطول التجاري البريطاني من الاعتماد على الفحم الى النفط، هذا الاسطول الذي كان يستخدم لاغراض تجارية وعسكرية. وتاسست في عام ١٩٠٩ شركة النفط الانجليزية–الفارسية Anglo- Persian Oil Company برأسمال قدره ٢مليون جنيه استرليني. وفي عام ١٩١٤ استحوذت الحكومة البريطانية على نصيب مهم من اسهم تلك الشركة، فحققت بذلك خطوة مهمة للسيطرة عليها (عيسوي و يجاني،١٩٦٦،ص ص٦٣–٦٤).

كذلك استغل البريطانيون نفوذهم القوي في جنوب ايران لتعزيز وجودهم العسكري هناك، فأسسوا فرقة حرس خاصة من الجندرمة قوامها خمسة الاف جندي عُرفت باسم "بنادق جنوب فارس"(شويل،١٩٨٥،ص ص٤٥–٤٦).

وبدورهم بذل الروس كل ما بوسعهم لتحقيق المزيد من المكاسب في ايران، والوقوف بوجه كل ما من شأنه تهديد موقعهم المهيمن فيها. فحسبما تشير التقارير الدبلوماسية البريطانية فأن الروس استخدموا المعاهدة لضرب الحركة الوطنية الايرانية التي اشتد زخمها آنذاك لانها وقفت عائقاً امام تنفيذ هذه المعاهدة، ونادت بانهاء النفوذ الاجنبي، وتحجيم المصالح الاجنبية في ايران(F.O., 371/16949, October 1931, P.14)

ترك النفوذ الاجنبي المتزايد في ايران، والتنافس المحموم بين القوى الاجنبية، لاسيما الروس والبريطانيين، للحصول على الامتيازات ومواقع النفوذ فيها، بصمات واضحة على الواقع الاجتماعي– الاقتصادي والسياسي في ايران استمر لسنواتٍ لاحقة.

الاثار الاجتماعية – الاقتصادية للاختراق الاجنبي

تركت التغيرات العميقة التي شهدتها ايران في اواخر القرن التاسع عشر، لاسيما في النصف الثاني منه، واندماجها بالسوق الرأسمالية العالمية نتيجة للتغلغل الاجنبي في البلاد، والامتيازات التي حصلت عليها القوى الاوربية في ايران، اثارها الواضحة على الواقع الايراني في جملة من التبدلات الكمية والنوعية المتباينة.

ونتيجة ذلك شهدت البلاد تغيراً واضحاً في نمط العلاقات الانتاجية السائدة وذلك بتحول اقتصادها عن النمط الانتاجي للاقطاع، على الرغم من ان هذا التحول لم يكن سريعاً وعلى وتيرة واحدة، بل تم بصورة بطيئة، وبشكل تدريجي (“Iran. Ochirk noveyshey histori ", 1971,P.21)

نجم عن عملية ربط ايران بالاقتصاد العالمي وتطور العلاقات الرأسمالية، تغيرات ملحوظة في البنية الاجتماعية والاقتصادية تمثلت في انحلال التكوينات البدوية وشبه البدوية. فالبدو الرحل الذين كانوا يشكلون نصف السكان في منتصف القرن التاسع عشر انخفضت نسبتهم الى الربع بحلول العام ١٩١٤ (Helfgot,1980 , P.1980; Essawi ,1971,P.20).

وبحكم اندماج الاقتصادات الاقليمية الكثيرة والمتباينة في اقتصاد واحد نتيجة الارتباط بالسوق الرأسمالية، فأن الزراعة الايرانية شهدت تحولاً عميقاً، ان كان من حيث عدد المشتغلين بها، او من حيث الطلب على السلع التجارية، خصوصاً تلك التي كانت تصدر الى الاسواق الخارجية (“Iran. Ochirk noveyshey histori ", 1971,PP.14-20) ونتج عن ذلك ارتفاع هائل في انتاج المحاصيل النقدية اعتباراً من النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فعلى سبيل المثال اصبح الحرير السلعة الزراعية الاولى في صادرات ايران عام ١٨٧٠، قبل ان يتراجع لصالح الافيون، الذي شكل بعد اقل من عقد اوسع مادة مفردة في صادرات ايران، اذ بلغت نسبتها ٢٦% من مجموع الصادرات للعام ١٨٨٠ (Amanat, 1983, PP.XV1, XV111).

وقد ترك التوسع في انتاج المحاصيل النقدية الذي لم يقتصر فقط على الافيون، الذي انتشرت زراعته في جميع مناطق ايران الوسطى والجنوبية والشرقية، بل شمل محاصيل زراعية اخرى، هي القطن والتبغ والرز، والشاي، آثارا عميقة في تركيب الانتاج الزراعي، وشَكْل ملكية الارض، وفي زيادة الانتاج الزراعي، لكن نجم عن ذلك، في الوقت نفسه، هبوط حاد في انتاج الحبوب خلال الفترة ذاتها، فقدت البلاد خلالها اكثر من مليوني ونصف المليون نسمة من سكانها (طاهري،١٣٥٤،ص٤٤٨). وشكلت هذه المجاعة هزة سياسية عنيفة لنظام القاجار، دفعت ناصر الدين شاه " ان يولي موضوع الخبز اهتماماً خاصاً منذ ذلك التاريخ" (المشايخي،١٩٨٧،ص١٩٣)، خشية مواجهة عواقب مجاعة اخرى كالتي حدثت عام ١٨٧٠. وليس مصادفة ان حكام القاجار بدأوا يتدخلون بعد ذلك التاريخ في شؤون السوق، فاضافوا اعباءاً جديدة على كاهل العاملين فيه، الى جانب الاعباء التي كانوا يواجهونها من المستثمرين الاجانب (طاهري،١٣٤٥، ص ٤٨٨-٤٨٩؛ Amanat, 1983,P.Xv111).

ثمة تطور اخر نجم عن اندماج ايران بالسوق العالمية وقيام مالكي الارض الذين زادوا ثراء بمرور الوقت، باستثمار جزء من ثرواتهم في المشاريع الصناعية الجديدة التي ظهرت في المدن، مع بدء حقبة الامتيازات في ايران (صفري،١٩٦٩،ص١٠;Keddie,1973,p.67). كما وسعوا من استثماراتهم في الارض الزراعية، خصوصاً في مجال المحاصيل النقدية المعدة للتصدير، مما نجم عنه تفاقم استغلال الفلاحين في الاراضي التي كانوا يمتلكونها، وقاد الى مزيد من التدهور في احوال هؤلاء(Keddie, 1973,P.67; Jazani,1980 P.14).

والجدير بالذكر ان هذا الامر لم يقتصر على ملاك الارض، بل شمل التجار ايضاً، الذين جذبهم ارتفاع عائدات المحاصيل النقدية فاتجهوا الى الاستثمار في الاراضي الزراعية، او في تمويل رأس المال، والدخول في عقود مشاركة حصصية للمحصول، الامر الذي حول التجار الى اصحاب اراضي بعد العام ١٨٧٨ . (Amanat,1983,PP.xx)

الاختراق الاقتصادي لايران من جانب القوى الاوربية توضح من خلال اغراق الاسواق الايرانية بالبضائع الاوربية سواء عن طريق الموانئ الايرانية على الخليج العربي او عن طريق طرابزون وتبريز. فعلى سبيل المثال ارتفعت التجارة عن طريق الخليج العربي حوالي خمس مرات خلال الاعوام ١٨٤٥-١٨٦٥. وخلال السنة المالية ١٨٦٨-١٨٦٩ بلغت قيمة البضائع المصدرة والمستوردة عن طريق موانئ الخليج العربي حوالي ٦ ملايين جنيه استرليني) . Kulagina, 1981 , p. 168)

هذه التطورات تركت آثارها على الحجم الكلي للتجارة الخارجية لايران خلال القرن التاسع عشر الذي ارتفع ثمان مرات، اذ زاد حجم الواردات التي كانت تشمل الاقمشة المصنعة والزجاج والسكر والشاي والتوابل والبهارات من ٢ مليون جنيه استرليني في عام ١٨٣٠ الى اكثر من ٥ مليون جنيه في عام ١٩٠٠، بينما ارتفعت الصادرات في نفس الفترة، وكانت تشمل القطن الخام والحرير والشعير والرز والتبغ والجلود والسجائر من ٢ مليون جنيه استرليني الى ٣٨٠٠٠٠٠ جنيه (Essawi , 1971, PP.130-150).

كذلك فان انفتاح اسواق ايران امام الاستثمارات الاجنبية وزيادة الاستيراد من الخارج ادى الى عجز ميزان المدفوعات الايراني والذي تجلى في انخفاض القوة الشرائية للعملة، وارتفاع الاسعار الذي قاد تدريجياً الى مزيد من التضخم.

ارتفاع الاسعار الذي بلغ بين الاعوام ١٨٥٠_١٩٠٠ نسبة٦٠٠% كان سببه الاساس هبوط قيمة الفضة، المعدن الرئيس المستخدم في النقد الايراني، في الاسواق العالمية، بعدما بدأت الدول الاوربية باستخدام الذهب كاساس لعملتها منذ العام 1850 (Avery and Simmons,1983,P.3)

كما ان ارتفاع نسبة الواردات من الخارج مع انخفاض قيمة الصادرات الايرانية جعل انسياب المعادن الثمينة وخصوصاً الذهب امراً محتوماً، مما استنزف احتياطي العملة الايرانية الى الحد الذي هدد بخلق ازمات حادة في السوق

الايرانية تركت اثارها على التجارة الخارجية الايرانية. فان التجار الايرانيين الذين كانوا يواجهون منافسة شديدة من التجار الاوربيين، كانوا بحاجة ماسة الى رأس المال الضروري للايفاء بالزاماتهم المالية (Amanat , 1983,PP.XV1-XV11).

التضخم اضعف مواقف التجار الايرانيين في وجه منافسيهم الاجانب، خصوصاً مع الانخفاض الحاد في اسعار المنتوجات الزراعية على المستوى العالمي والذي بدأ منذ العام ١٨٧١ واستمر الى نهاية القرن التاسع عشر. فعلى سبيل المثال فان حجم الشعير المصدر من ميناء بو شهر ارتفع حتى عام ١٨٩٤ بنسبة ٨% لكن القيمة الفعلية الناجمة عن هذه الزيادة لم تحقق ارتفاعاً بسبب انخفاض القوة الشرائية للعملة الايرانية، الى جانب انخفاض اسعار الشعير في الاسواق العالمية (Abrahamian,1982,P.60).

ومع ان القروض التي عقدها ناصر الدين شاه وخلفائه، والامتيازات التي منحوها للاجانب كان يفترض فيها ان تحسّن من وضع الاقتصاد، وتعزز موقف التجار واصحاب الصناعات المحلية في وجه المزاحمة الاجنبية الشرسة، الا انه في واقع الحال فأن شيئاً من ذلك لم يتحقق. فالعائدات المتأتية من القروض والامتيازات استخدمت لدفع كلف التضخم العالية، وعلى بذخ البلاط، وسفرات الشاه الى اوربا، كما خُصص جزء اخر منها لتمويل مشاريع التحديث التي كلّفت الكثير، ولم تحقق الا القليل لايران (Abrhamian,1982,PP.56-57).

وكما يشير ابراهاميان، فأن ناصر الدين شاه، بوقوعه بين النفقات المتزايدة والواردات القليلة، وبين الحاجة الى البحث عن موارده مالية جديدة، والخشية من النتائج المترتبة على فرض ضرائب جديدة لاستحصال موارد اضافية للدولة، غدا يعتمد كثيرا على بيع الالقاب، والامتيازات، والاحتكارات (Abrahamian,1982,P.56). واستناداً الى ما كتبه مؤرخ ايراني معاصر لتلك الحقبة "قلما مر يوم في البلاط دون ان يباع شيءٍ ما، الى احدٍ ما، بسعرٍ ما" (Sheik Al- Islam ,1971,P.110)

ثمة تغيير اخر نجم عن دخول رأس المال الاوربي، ومنح الامتيازات لرجال الاعمال الاوربيين، تمثل بالانقسام الذي تعرضت له الطبقة الوسطى الايرانية على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي. فمع اواخر القرن التاسع عشر انقسمت هذه الطبقة الى جناحين متناقضين. فمن جهة ادى نمو التجارة الاجنبية، والاتصال المباشر مع المستثمرين الاوربيين الى خلق وصعود طبقة برجوازية كومبرادورية "تتعامل مع الاجنبي" غنية ارتبطت اساساً بالسوق الخارجية، في حين ادى فشل البرجوازية المحلية في منافسة ومواجهة رأس المال الاوربي، والحد من التغلغل الاجنبي في مفاصل الاقتصاد الوطني الى تراجع هذه البرجوازية، وفشلها في تأدية الدور الاجتماعي –الاقتصادي المطلوب. الامر الذي انعكس فيما بعد على المواقف السياسية لهذه الطبقة من نظام القاجار الاقطاعي (Abrahamian, 1982, p.60) ويمكن معرفة

الكثير من المشاكل التي واجهتها البرجوازية المحلية ابان تلك الحقبة من خلال تقرير رفعه احد الموظفين الحكوميين في ميناء بو شهر على الخليج العربي الى ناصر الدين شاه عام ١٨٨٢. فبعد وصفه للتطور الذي طرأ على الميناء، والمستقبل الزاهر الذي ينتظر التجارة فيه، فصلّ التقرير المتاعب التي يعانيها التجار الايرانيون، ومنها تقاعس الحكومة الايرانية، على نقيض الحكومات الاجنبية، عن تقديم الدعم لتجارها، والمراكب الشراعية القديمة التني يستخدمها التجار الايرانيون، وعدم توفر اماكن لخزن البضائع، وهي امور كانت مهيئة للتجار الاجانب. واخيراً بسبب التعريفات الكمركية العالية، والضرائب الداخلية الكثيرة، فـ"رجال الاعمال في بوشهر كثيراً ما يشتكون بان الاوربيين يدفعون فقط ٥%ضريبة كمركية للمستوردات، في حين هم مُجبرون على دفع ضرائب اضافية في شيراز وفي اصفهان وفي اي مدينة اخرى يبيعون فيها". واخيراً حذر التقرير من ان التجار الايرانيين سيُجبرون على شراء حماية الانكليز لهم، ومعها الجنسية البريطانية من اجل الاستمرار في التجارة.

ودعا التقرير الحكومة الى" ان تتخذ اجراءات غير مشجعة لهذه الخصلة" (Abrahamian,1982,P.60-61). وعندما اطلع ناصر الدين شاه على التقرير كتب عليه عبارة " مثير للاهتمام" (Abrahamian, 1982, p.62). لكن الشاه لم يقدم أي حلول تثير الاهتمام لمعالجة اوضاع مواطني دولته الاوتوقراطية.

ومن المفارقة ان الملحق التجاري البريطاني في طهران توصل في تقرير كتبه فيما بعد، الى النتيجة نفسها. وكتب محذراً : "ان الاعباء التي بات يتعرض لها التجار الايرانيون تجبرهم اما على ترك تجارتهم، او التجنس بجنسية اجنبية" (Abrahamian, 1982, p.59).

ومع ان النمو في الانتاج البضاعي وعملية تراكم رأس المال، نتيجة الاتصال بالاسواق الخارجية، اوجد تجارا جمعوا ثروات طائلة نتيجة الاستثمار في مشاريع صناعية، الا ان هذا الوضع لم يدم طويلاً نتيجة المنافسة الاجنبية الحادة من جانب المستثمرين الاوربيين الذين تقاطروا على ايران نتيجة الامتيازات التي مُنحت لهم، وفشل القاجار في حمايتهم في وجه تلك المنافسة (احمد،١٩٨٥،ص١٠٤;Nashat,1981,PP.53,79). وكان اكثر ما يُحبط التجار الايرانيين اطلاق الحكومة لحرية التجارة، والتسهيلات الكمركية التي كانت تقدم للتجار الاوربيين. فمثلا ان مستوردا اوربيا للقطن دفع ما قيمته ٥% كرسوم كمارك، في حين ان المستورد الايراني دفع رسوماً بلغت مابين ٧-٨%على البضاعة نفسها (F.O. 371/15411,October 1877).

هذا الامر، الى جانب كون التجار الاجانب كانوا يتمتعون بحصانات دبلوماسية حمت امتيازاتهم، دفع التجار الايرانيين ممن كانوا يفتقرون الى ارتباطات اوربية، الى التحول مع مرور الوقت اما الى باعة جملة، او مجرد وكلاء

وموزعين داخليين للمستوردات الاجنبية (Amanat,1983, PP, XIX-XX). وبتعبير اخر كان هذا الوضع "تدميراً لامالهم التجارية" حسب وصف كوتام (Cottam ,1964, P.43)

تفاقم التغلغل الأجنبي وفشل القاجار في مواجهته

هكذا فان الاختراق الاجنبي، وفشل القاجار في مواجهته، والمخاطر الحقيقية التي كانت تواجه التجار وعجزهم عن دفعها، كل هذا الامور دفعت التجار، كما ستدفع الفئة المثقفة التي ستظهر لاحقاً، وبقوة على مسرح الاحداث، الى التطلع الى دولة موحدة وقوية. ففي ظل هذه الدولة كان يمكن لهم ان يقفوا بوجه المنافسة الاجنبية، ويأمنوا على اموالهم وتجارتهم. وقد علق كوتام: ان التجار كانوا من اشد دعاة النزعة القومية التي انتشرت بشدة في منطقة الشرق الاوسط، ومنها ايران خلال القرن التاسع عشر. وعندما اشترك التجار بفاعلية في الثورة الدستورية فانهم انطلقوا من فكرة ان قيام مؤسسات دستورية تقيد سلطات حكامهم الاوتوقراطيين" الذين باعواالبلاد للاجانب" هي الضمانة الوحيدة لحماية مصالحهم التجارية، ولتأمينهم ضد ظروف التسيب الاقطاعي وفقدان المركزية، واستمرار النزاعات المحلية لحكام الاقاليم، التي كانت تفاقم من عمليات اللصوصية وقطع الطرق، وهي امور شكلت تهديداً خطيراً لتجارتهم الداخلية (Cottam ,1964, PP.43-44)

استياء التجار تجلى باشكال متعددة. ففي عام ١٨٩٠وخلال ازمة التبغ الشهيرة، اعترض وفد من التجار لدى الشاه، على منح امتياز التبغ لشركة اجنبية، وابدى التجار تضامنهم مع الفتاوى التي اصدرها رجال الدين، وحملات التحريض التي كان يشنها المثقفون ضد شركة التبغ البريطانية (Sadeghi, 1979, P.1; Cottam,1964, PP.43-44).

واحتج تجار الاقمشة في عام ١٩٠٥ على سياسة مسؤول الكمارك الاوربي، من خلال تظاهرة اشترك فيها ايضاً مقرضو الاموال الذين احتجوا على سياسة الدولة المالية، خصوصاً عدم قدرتها على الايفاء بالتزاماتها المالية، ورّد ما بذمتها من اموال استلفتها كقروض من التجار ومقرضي الاموال.

وقد اعلن المحتجون امتعاضهم من التسهيلات التي كانت الحكومة قد اعلنت عن تقديمها للشركات الروسية. وصرح احد المحتجين لمراسل صحيفة اجنبية قائلاً:

يجب ان نشجع الصناعة الوطنية، حتى وان لم تكن نوعيتها بحجم المستوردات الاجنبية. ان الاتجاه الحالي لزيادة المستوردات سيفضي حتماً الى تدمير صناعتنا وتجارتنا (Abrahamian,1968, PP.192-193).

التطور الاخر المهم الذي نجم عن التغلغل الاجنبي في ايران، والاثار السلبية التي نتجت عنه، تمثل في الدور الذي اضطلع به الحرفيون، كاكثر فئات المجتمع سعياً للتغيير، ولعمل كل ما من شأنه هز اركان نظام القاجار الاستبدادي.

وقد شكل الحرفيون الى جانب فئات اخرى، احد العناصر الاساسية في البازار الايراني الذي كان منطلقاً لاغلب التحركات السياسية التي شهدتها البلاد خلال تلك الفترة. فلم يكن البازار مجرد سوق تقليدي ,Abrahamian,1968 (P.192)، بل كان "مخزن القمح، والمشغل، والبنك، والمركزالديني للمجتمع باسره" (احمد،١٩٨٥،ص١٠٥). ففي مدينة تبريز مثلا، وقبل تأسيس الحكم القاجاري كان هناك مالايقل عن(٢٠) الف حرفي مسجلين في الاصناف، وموزعين على(٧٠) صنعة مختلفة (احمد،١٩٨٥، ص١٠٥) .

وكما ذكر احد جباة الضرائب فأن عدد المهن اليدوية في اصفهان وحدها بلغ عام ١٨٧٧اكثر من(٢٠٠) حرفة (Abrahamian,1982, P.24) اما الصناعة الحرفية الاولى، ممثلّة في السجاد، فقد حظيت بشهرة عالية جعلتها في مقدمة البضائع الكمالية التي تهافت الاوربيون على اقتنائها(Sadeghi,1979,P.1; Mcdaniel,1974,P.35)

ان هجمة رأس المال الاوربي، والتوسع في نظام الامتيازات، سرعان ما حطم الحرف والصناعات البيتية التي لم تستطع الصمود امام مزاحمة البضائع الاوربية الارخص ثمناً بمرتين او ثلاث على الاقل. وتعثرت عملية تحول كثير من الصناعات الحرفية الى صناعات كثيفة بمساعدة المكائن للانتقال الى الانتاج المانيفاكتوري (صفري،١٩٦٩،ص١٠;Jazani,1980,P.24).

لقد ترك ذلك كله نتائج خطيرة على الاقتصاد الايراني برمته، وكان بدايةً لتحجيم وتدمير الصناعة الحرفية التي بدأت تشهد ازمة حادة للغاية. وكانت صناعة النسيج الايرانية اولى الصناعات المحلية التي تلّقت ضربات موجعة. فمن مجموع(٨٠٠٠) نول حرير كانت تعمل في كاشان خلال عام ١٨٤٩-١٨٥٠ لم يبق منها سوى ٨٠٠ نول، وفي اصفهان (٢٠٠) نول فقط. واضيف العاملين فيها الى جيش العاطلين عن العمل، شأن العديد من التجار الصغار وباعة الجملة الذين انصرفوا الى انتاج المنتوجات المنزلية وبيعها (Amanat, 1983,P.xv P.XVX) . وينطبق الامر نفسه على صناعة الشالات، فبعد ان كانت هذه الصناعة تشكل واحدة من اهم مواد التصدير حتى نهاية القرن التاسع عشر، فانها شهدت تراجعا كبيرا في مستهل القرن العشرين بعد ان واجهت منافسة حادة من بريطانيا التي شجعت هذه الصناعة في الهند، مستعمرتها الكبيرة والغنية (Jazani, 1980, P.24).

ومنذ مطلع سبعينيات القرن التاسع عشر بدأ الانتاج المانيفاكتوري، يدخل صناعة السجاد في اذربيجان، وفي سلطان اباد، وكاشان، وكرمان، التي بدأت تشهد تطوراً واضحاً في اساليب انتاجها بمساهمة الشركات الاوربية وخاصة البريطانية، وذلك لرفع حجم الصادرات من السجاد الايراني (Kulagina ,1981, P.105). وكمؤشر على ذلك فأن صادرات تبريز من السجاد ارتفعت عام ١٨٧٩ الى (٦٥) الف جنيه استرليني بعد ان كانت لاتتجاوز(٢٥) الف جنيه

خلال العقود الاولى من القرن التاسع عشر (Kulagina ,1981, P.105). وجاء هذا الارتفاع على حساب تقويض الصناعة اليدوية التقليدية لهذه الحرفة المهمة للغاية. وفي تقرير لاحد جباة الضرائب في اصفهان، شخص اوضاع نقابة النساجين في المدينة على الشكل التالي:

في الماضي، كانت المنسوجات ذات النوعية الراقية تنتج في اصفهان. فالجميع– من اعلى الى اسفلهم– كان يرتدي المنتوجات المحلية، ولكن في السنين القليلة الماضية سلم اهل ايران اجسادهم وارواحهم الى المنسوجات الاوربية الرخيصة الملونة، وبذلك، قادوا الى خسائر اكبر مما كانوا يتصورون (Abrahamian ,198, P.59)

وكما يشير التقرير فأن عُشر النقابات في اصفهان كانت للنساجين، ولم يبق منها سوى اقل من خُمسها. واستنادا الى التقرير نفسه فأن حوالي واحد من عشرين من نساء اصفهان الارامل كن يربين اطفالهن من وارد الغزل للنساجين، لكنهن فقدن مصدر رزقهن نتيجة تدهور هذه الصناعة. ولم تتوقف الخسارة عند هذا الحد، بل امتدت لتشمل "الصباغين(صباغي الاقمشة) والقصّارين (الذين يقصرون القماش) ومهن اخرى، اصابتها الاضرار ايضا، والفلاح[ايضا] لايستطيع ان يبيع القطن بسعر مرتفع بعد اليوم" (Abrahamian ,198, P.59).

وقد اشار تقرير بريطاني بشكل صريح الى ان احتجاجات اصحاب المصانع المحلية، والتماساتهم المتكررة الى الحكومة لحماية الصناعات الوطنية، بزيادة التعرفة الكمركية على الواردات كانت تُقابَل بالاهمال. ويعترف التقرير نفسه ان التجارة الحرة كانت تحطم فروع عديدة من الصناعات المحلية، التي باتت تتهاوى بسرعة امام هجمة رأس المال الاوربي (F.O., 371 /15411 , October 1977) وامام هذا الواقع نجد في اواخر العهد القاجاري ثلاثين معملاً اهليا يغلق ابوابه بشكل كلي او جزئي (شويل،١٩٨٥ص١٣).

هذه الاوضاع وضعت البازار الايراني في كل البلاد امام عدو مشترك تمثّل بالمنافس الاجنبي، ودفعت بالتالي الحرفيين الى اعلى مراحل الاستياء، وليغدوا بالتالي اكثر الفئات في المجتمع الايراني دعوة للتغيير، بعد ان بلغ التناقض بينهم وبين النظام القاجاري مداه. وانخرطوا بحماس في كثير من الانتفاضات والحركات المعارضة، الى جانب فئات اخرى، وبرزوا على ساحة الاحداث بشكل جلي حينما وقفوا ضد اميتاز التبغ عام ١٨٩٠ (Keddie,1969,P.119).كما شكلوا احد ابرز العناصر التي شاركت في الثورة الدستورية. فمن مجموع(١٤) الف متظاهر اعتصموا في باحة المفوضية البريطانية في طهران، شكل الحرفيون الى جانب التجار، النسبة الاعظم من المشاركين في الاعتصام الذي دام ثلاثة اسابيع (ابراهاميان، ١٩٨٠،ص ٥٢ ;Cottam,1964,p.43).

ويعكس عدد المقاعد الذي خصص للحرفيين في العاصمة اثناء انعقاد المجلس الاول(البرلمان) في عام ١٩٠٦، في اعقاب نجاح الثورة، الوزن المؤثرلهذه الفئة. اذ تم منح اثنين وثلاثين مقعداً للنقابات، وحصل التجار على عشرة مقاعد، في حين مُنح الملاكون اربعة مقاعد، وعدد المقاعد نفسها للعلماء او كبار رجال الدين. ومن النواب الذين جرى انتخابهم في المجلس جاء منهم ٢٦% من اعضاء النقابات و٢٠% من رجال الدين او العلماء، في حين احتل التجار ١٥% من عدد المقاعد (ابراهاميان، 1980، ص٤٣؛ Wilber,1961,P.26).

كذلك ادى الارتباط بالعالم الخارجي، والاحتكاك بالغرب عن طريق السفر والترجمة، وقيا م مؤسسات التعليم الحديثة، الى نشوء فئة مثقفة، نمت تدريجياً، وغدا لها حضور ملموس وفاعل خلال السنوات اللاحقة، وطرحت مطالب اكثر جذرية لتغيير الواقع في بلادها.

وقد وجهت هذه الفئة هجومها باتجاهين؛ النفوذ الاجنبي الذي استفحل في البلاد التي اصبحت نهباً للرأسماليين الاجانب. وعدّت هذا النفوذ "العدو الحقيقي" لايران التي حل بها الخراب والدمار من جراء النهب الاجنبي المتزايد لثرواتها ومواردها.

اما العدو الاخر في نظر الفئة المثقفة فقد تجسد في نظام القاجار الاستبدادي الذي غدا حكامه اداة طيعة في ايدي القوى الاجنبية المتنفذة في ايران (Bill,1984,P.71;Nouraie,1974,p.234;Abrahmian,1982,P. 62)

عبرت الفئة المثقفة عن دورها الفاعل خلال ازمة التبغ، حينما رفعت لواء المعارضة ضد الامتياز، وواصلت من خلال مقالاتها تحريض باقي فئات المجتمع لاسيما رجال الدين ضده، وبالتالي اجبار الشاه على الغاءه. فقد كتبت صحيفة "النجم" التي كان المثقفون الايرانيون يصدرونها من منفاهم في اسطنبول:

من الواضح جداً ان صاحب الامتياز سيبدأ برأسمال صغير، سيشتري التبغ من المزارعين، وسيبيعه للتجار والصناعيين باسعار عالية، وستبقى كل الارباح بالتالي في محفظة الانكليزي (ابراهاميان،١٩٨٠،ص ٤٣).

وفيما بعد ادى المثقفون دوراً بارزاً خلال سنوات الثورة الدستورية التي شكلوا رأس الرمح فيها. وكان دورهم فيها دور "المربي" على حد تعبير كوتام (Cottam,1964,P.40).

وقد اعترف مستشار المفوضية البريطانية في طهران فيليب براس في تقارير بعثها الى حكومته، بأن معارضة المثقفين لمعاهدة عام ١٩٠٧ كانت عنيفة جداً، وان الوعي القومي بين "الطبقات المثقفة" على اشده، لذلك، استناداً الى تقارير المستشار البريطاني، فأن الجمعيات الدستورية، التي يشكل المثقفون دعامتها الرئيسة، اصبحت قوية جداً و "من المستحيل وقوفها مكتوفة الايدي" (الصراف،١٩٧٨، ص ٣١٧).

هذه التغيرات العميقة التي كان يمر بها المجتمع الايراني، لم تكن بعيدة عن اعين الروس والبريطانيين، الذين كانوا يراقبون عن كثب اي تحرك من شأنه الاخلال بنفوذهم الواسع او هيمنتهم المستحكمة بمقدرات ايران، خصوصاً وان معاهدة ١٩٠٧ بين الطرفين لم تلغ تماماً المنافسة بين القطبين الكبيرين في ايران. وهكذا استمرت ايران في اواخر العهد القاجاري حلبةً صراعٍ عنيفٍ بين كل من روسيا القيصرية وبريطانيا، وما لبثت ان انضمت اليهما وبدرجة اقل قوى دولية اخرى. وجاء اعتراف الحكومة الايرانية في عام ١٩١٢ بمعاهدة التقسيم لعام ١٩٠٧ ليعمق مظاهر الضعف والتدهور الذي انحدرت اليه السلطة القاجارية (Searight, 1979, p. 103)

وامام حدة التنافس البريطاني- الروسي ظهر عشية الحرب العالمية الاولى تيار دعا الى الموازنة بين الدول الكبرى في سياق تناسب القوى على الصعيد العالمي، سعيا لتحقيق قدر من الاستقلالية عن القوى الكبرى المهيمنة على ايران (شويل ،١٩٨٥، ص ٦٥). وقد اتجه الليبراليون الايرانيون نحو المانيا التي لم تكن طموحاتها الاستعمارية قد طفت على السطح، على الاقل بالنسبة لايران.

التأثيرات السياسية وتداعياتها

وقد حاول البريطانيون والروس مرة اخرى خلال الحرب العالمية الاولى توحيد مواقفهما بشأن مصالحهما في ايران، والتي لم يعرها الحلفاء اي اهمية بل وحتى عدوها "مفيدة لاعدائهم"، حسبما جاء في وثيقة بريطانية (O.R.L/ P+S/10/482,No. 496 , Marc 1915 , p.85) اذ توصل كل من وزيري الخارجية الروسي سيرغي سازانوف، والبريطاني ادوارد غراي الى توقيع اتفاقية سرية بينهما في اذار عام ١٩١٥، شملت هذه المرة منطقة الحياد الايرانية في معاهدة عام ١٩٠٧(احمد،١٩٨٥، ص ص ٩٤-١٠٠). وقد تزامن التوافق البريطاني- الروسي مع تحرك الماني واسع قام به وكلاؤها في ايران لكسب اكبر مجموعة ممكنة من العشائر الايرانية لصالح المانيا، وهو امر لم يقتصر على الالمان وحدهم بل امتد الى الاطراف الاخرى المشاركة في الحرب ولاسيما الروس والبريطانيين والعثمانيين

(I.O.R.L/P+S/10/482,March13,1915,PP.48-89;I.O.R.L/P+S/10/482,April19,1915.P.35;I.O.R.L/P.S/10/ 482/April20,1915,P.39)

استجدت اثناء الحرب العالمية الاولى متغيرات مهمة على الصعيد الدولي كان لها اثرها القوي والعميق على الواقع الايراني ربما اكثر من اي جزء اخر من منطقة الشرق الاوسط، ومن منطلقات متناقضة. فقد اعلنت روسيا انسحابها من الحرب بعد قيام ثورة اكتوبر عام ١٩١٧، واقدم السوفييت على الغاء معاهدة عام ١٩٠٧ الخاصة بتقسيم ايران،

ولكل الاتفاقيات السابقة واللاحقة (“Documents on British Foreign policy ", 1963 , PP.439-45) وهكذا تُركت الساحة الايرانية مفتوحة امام بريطانيا لتثبيت نفسها كقوة مهيمنة في ايران , (Zemskovo and Others,1969 P.57).

مع نهاية الحرب شرع الاهتمام البريطاني بايران يتخذ اشكالاً اخرى. فقد صرّح كرزن "ان ايران بالنسبة لنا تُعد من المناطق الاستراتيجية المهمة، فلو تركناها لتدخّل اعدائنا فيها، وذلك خطر علينا وعلى مصالحنا" Zemskovo and (Others,1969 ,P.4). وجدد التأكيد على ان "جيشنا يعتمد اعتماداً حياتياً على النفط الايراني" Zemskovo and (Others,1969 ,P.4) الذي تصاعدت ارقام انتاجه بعد الحرب بشكل لافت.

فعندما نشبت الحرب كان مصفاة عبادان ينتج (٢٧٠) الف طن من النفط، لكن ارتفع هذا الرقم مع نهاية الحرب في عام ١٩١٨ ليصل الى (٩٠٠) الف طن (البيضاوي،١٩٥٤ ،ص ٣٠-٣١).

فرضت المستجدات التي ظهرت بعد انتهاء الحرب، وتبدل موازين القوى على الصعيد الدولي اثر خروج روسيا من حلبة التنافس الاستعماري، وسقوط امبراطورية آل عثمان، وهزيمة المانيا، وبزوغ قوى دولية فاعلة ممثلة في الولايات المتحدة، وانفتاح ابواب المنطقة بالكامل امام بريطانيا اكثر من أي وقت مضى، على البريطانيين الاندفاع اكثر للتمسك بمواقعهم في ايران، بل ومحاولة تعزيزها بشتى السبل.

وبهدف ربط ايران بعجلة السياسة البريطانية بشكل اكبر، حفزت لندن ايران على توقيع معاهدة عام ١٩١٩ معها. واختار البريطانيون للمعاهدة اسم" اتفاقية المساعدة البريطانية من اجل تقدم ايران ورفاهها". وقد وقعها عن الجانب الايراني رئيس الوزراء والشخصية المقرّبة من البريطانيين وثوق الدولة، وعن الجانب البريطاني السفير برسي كوكس بعد مفاوضات استغرقت عاما تقريباً" American“)

.Documents”,NO.741,91/21,August11,1919,p.698;Fatemi,1952,PP.240-254)

شملت المعاهدة بنودا عديدة لكن اهمها تلك التي تعلقت بتنظيم المسائل المالية والكمارك، الى جانب حق انشاء سكك الحديد والطرق على مستوى ايران كلها. مقابل ذلك تعهدت الحكومة البريطانية بتقديم قرض مالي لايران بقيمة مليوني جنيه استرليني، وبفائدة سنوية مرتفعة بلغت ٧% بضمان موارد الكمارك الايرانية American“)

Documents”,NO.741,91/21.AUGUST11,1919,P.698;

Ishtiaq,1974,PP.318-329).

قيّم المؤرخون والدبلوماسيون المعاهدة باشكال مختلفة. فقد وصفها لنشوفسكي انها في الواقع عبارة عن" حماية مفروضة على ايران" (لنشوفسكي،١٩٧٥،ص٢٢٨). في حين اشار المؤرخ السوفييتي والمتخصص في الشؤون

الايرانية آغاييف الى ان المعاهدة "حولّت ايران الى محمية بريطانية" (Agaev,1965,P.90). بينما اشارت احدى الوثائق البريطانية الخاصة، الى ان المعاهدة "صُيّغت بصورة جدية جداً بحيث تستفاد منها [بريطانيا] فائدة كبيرة" (F.O., 371/16949,October 1931,P.132) ودون "ان تقود بريطانيا الى تحمل أي تبعات مالية جراء اشرافها على الادارة الايرانية"، حسبما ورد في وثيقة بريطانية اخرى ("Documents on British Foreign policy",1963,PP.1120-1132).

اثار الاعلان الرسمي عن المعاهدة ردودَ فعلٍ عنيفةٍ تجاه السلطة الايرانية والبريطانيين في الوقت نفسه. وقد تجلّت هذه الردود في سيلٍ من المقالات الغاضبة في الصحف الايرانية، وكذلك في مواقف وتصريحات الشخصيات السياسية الايرانية. اذ عدّها العديد من الايرانيين بمثابة "انتداب لبريطانيا العظمى على فارس" ("American Documents",No.741,91/21 , August 13,1919,P.699) انتداب يرقى "الى درجة الحماية ("Documents on British Foreign Policy",1963,P.699). وشهدت ايران مظاهرات عارمة في مختلف انحاء البلاد، وردد المتظاهرون هتافات تقول " إن هذه الاتفاقية باعت ايران للاجانب وجعلتها مثل مصر وفلسطين مستعمرة للغير" (كسروي،١٣٣٣،ص٨٢٢).

لم تقتصر المعارضة الواسعة لمعاهدة ١٩١٩ على الداخل الايراني فقط وانما امتدت لتشمل الخارج ايضا. فاجواء التكتم التي احيطت بها المفاوضات التي خصت المعاهدة والاعلان المفاجئ عنها جعل "البعثات الاجنبية الاخرى مندهشة جداً، منسّبين للوزارة الايرانية افتقارها الى النية الحسنة، ولبريطانيا الثقة السيئة" ("American Documents", Vol11,No.741,91/21,August 13,1919,P.699) كما ورد في احدى الوثائق الدبلوماسية الامريكية.

كذلك ابدى السفير الفرنسي في خلال احدى لقاءاته مع الدبلوماسيين الامريكيين في طهران "عدم قناعته، وهو يأمل مساعدة الوزير الامريكي" (Cottam,1964,P.185).

غير ان الموقف الامريكي من المعاهدة جاء اقوى واشد، وظهر ذلك واضحا من خلال البرقية الي ارسلها وزير الخارجية الامريكي الى سفيرهم في طهران " لقد سببت الاتفاقية الانكلو– فارسية انطباعاً غير مقبول لدى الرئيس ولديّ ("American Documents" ,No. 741 ,91/23,August 13,1919. P.700).

وشارك الوزير الامريكي زملاؤه الدبلوماسيين الاجانب في طهران انتقادهم للطابع السري الذي حكم فترة المفاوضات حول المعاهدة بين الطرفين الايراني والبريطاني. واشار الى " ان السرية التي أُستخدمت، والصمت الملاحظ بدا مناقضا

للاساليب الصريحة والمكشوفة التي كان يجب ان تكون سائدة" ("American Documents",No.741,91/23,August 13,1919, P.700)

ولعل من اكثر الامور التي اسهمت في جعل الموقف الامريكي اكثر تشددا تجاه المعاهدة هي الامتيازات النفطية التي سعت الولايات المتحدة للحصول عليها في ايران والشرق الاوسط استناداً الى مبدأ الباب المفتوح (Open Door) الذي بدأت الاوساط الامريكية تطرحه بقوة بعد الحرب العالمية الاولى في مجال السياسة النفطية الدولية، وضرورة فتح ابواب المناطق التي تخضع للدول الاخرى امام شركات النفط الامريكية (يزدي،١٣٥٨،ص ٤٣٢-٤٣٣؛ Bryson,1977, PP.86-87).

لقد بات العديد من الساسة البريطانيين، ولاسيما كرزن يؤمنون ان معاهدة العام ١٩١٩ مع ايران "قد عُطلت عن العمل، ان لم تكن قد ماتت" (Olson, 1981, P.248).

لذلك بدأ التفكير في اساليب جديدة لاتختلف نتائجها عما تؤدي اليه معاهدة ١٩١٩. فقبل ايامٍ معدودات من انقلاب شباط(حوت) عام ١٩٢١ بقيادة رضا خان (رضا شاه بهلوي فيما بعد) وصلت وزارة الخارجية البريطانية مذكرة بتاريخ الرابع عشر من شباط عام ١٩٢١ بعنوان " مساعدة مالية فارس" اعدها ارميتاج سمث، الضابط البريطاني في لواء القوزاق. كانت المذكرة قد وُضعت من جانب مدير شركة النفط البريطانية، وتضمنت بنودا عديدة اهمها، تقديم قرضٍ لايران بشرط تعيين مستشارين بريطانيين كمراقبين على المالية الايرانية، وان تتكفل الحكومة الايرانية بنفقات قوات الجندرمة المعروفة باسم "حملة بنادق جنوب فارس" التي كانت بريطانيا تتولى الانفاق عليها سابقا ("Documents on British Foreign Policy", P.721). واشار سمث في مذكرته "ان مقترحاتنا تمثل خلاصة الجهود لاثارة الرأسماليين البريطانيين الذين يهتمون بفارس ("Documents on British Foreign Policy", P.721)

ترافقت هذه التطورات مع اخرى تركزت في شمال البلاد، حيث اشتد زخم الحركة الوطنية بشكل واضح بعد الحرب العالمية الاولى. ففي كيلان اعلن كوجك خان[٣] في الخامس من حزيران عام ١٩٢٠ تشكيل "جمهورية كيلان السوفيتية الاشتراكية"(مكي،د.ت،ص ٢٣٩؛ Ivanov,1952,P.279; Razi,1979,P.72).

وفي اذربيجان حدثت انتفاضة مهمة بقيادة الشيخ محمد خياباني[٤] الذي اعلن في الرابع والعشرين من حزيران عام ١٩٢٠ عن تشكيل حكومة " آزاديستان" (مكي،د.ت، ص ١٨-١٩؛ كسروي،١٣٣٣،ص ٨٧٨ -٨٧٩؛ Fatemi,1952, PP.248-249; Ivanov,1952,PP.276-277) وقد ركزت الحركتان على ضرورة طرد النفوذ الاجنبي من ايران ،وانهاء تبعية بلادهم للدول الاستعمارية الكبرى، والغاء الاتفاقيات الجائرة التي عقدتها مع تلك الدول، وخصوصاً بريطانيا (كسروي،١٣٣٣، ص ٨٧٨؛ مكي،د.ت، ص٢٣٩).

وامام هذه المعطيات الجديدة، داخليا وخارجيا، كانت السياسة البريطانية في ايران، وفي صلبها بالطبع اميتازاتها ومصالحها، وكما شخصت ذلك بدقة وثيقة بريطانية، امام منعطفٍ حرجٍ اصبحت فيه نهاية الدور القديم مطلوبا لبداية دورٍ جديدٍ (F.O., 371/16949,October1931,P.140) الامر الذي قاد صناع القرار في(١٠) داوننغ ستريت [٥] للتفكير جدياً في مصير النظام القاجاري، وضرورة اجراء "تغييرٍ من نوعٍ ما" لصالح مصالحهم الواسعة في ايران تحديداً، والشرق الاوسط عموماً.

استنتاج وتقويم

غدت ايران في اواخر العهد القاجاري حلبة لصراعٍ عنيفٍ بين كل من روسيا القيصرية وبريطانيا ما لبثت ان انضمت اليهما، وبدرجة اقل، قوى دولية اخرى. ويمكن القول ان هذا التنافس بين القوتين الكبيرتين مثل احد العناصر الاساسية التي وجهت مسار الاحداث السياسية في ايران، وحددت اتجاهات التطور الاقتصادي والاجتماعي فيها خلال تأريخها الحديث، وبالقدر نفسه مثل قيدا ثقيلاً على صناع القرار في ايران طوال القرن التاسع عشر والعقود الاولى من القرن العشرين.

كانت مكاسب بريطانيا وروسيا في ايران كبيرة جدا. وكان تغلغلهما الاقتصادي مقدمة لمكاسب سياسية كثيرة ومتشعبة. وكان بوسع بريطانيا ان تتوسع اكثر فاكثر لكن روسيا كانت تقف بوجهها، بيد انه بمرور الوقت تمكن البريطانيون من تخطي الروس في هذا المجال، في حالات عديدة.

غير انه يمكن القول انه حالما تطلبت مصلحة الدولتين المتنافستين الاتفاق في حالات معينة، لاسيما مواجهتهما خطر بروز منافسين جدد لهما على مواقع النفوذ في ايران، او محاولة الحصول على امتيازات اقتصادية ومالية اسوة بالبريطانيين والروس، فان القطبان اللدودان كانا يسارعان لتسوية خلافاتهما، والتصرف وفقاً لمصالحهما، والاشارات كثيرة في هذا الخصوص. فعلى سبيل المثال فان معاهدة تقسيم مناطق النفوذ بين البريطانيين والروس في العام ١٩٠٧دخلت في اطار التوافق السياسي والدبلوماسي بين الدولتين الكبيرتين.

وليس ادعاءً القول ان المنافسة المريرة بين الروس والبريطانيين هي التي سمحت لايران ان تحتفظ بنوع من استقلالها الشكلي او الهش، خاصة وان عددا من حكام وساسة ايران كانوا يحسنون المناورة بين الجانبين.

ادى التحدي الغربي المتمثل بالاختراق الاقتصادي ونظام الامتيازات الى محاولة القاجار الاستجابة لتلك التحديات ببرامج طموحة للغاية تضمن لايران الاخذ باسباب النهضة الحديثة، لكن لم يقدر لهذه البرامج ان تصل الى نهاياتها

الطبيعية، بل تعرضت لانتكاسات مؤلمة، كما في تجربتي عباس مرزا(١٧٨٨-1833) ومرزا تقي خان فراهاني المعروف باسم امير كبير(١٨٠٧-1851).

بالمقابل فان التغلغل الغربي، والاتصال بالسوق الرأسمالية العالمية، وتفاقم ازمة الانتاج الحرفي، ونمو التجارة الخارجية، وتغير الواقع الزراعي، وتوسيع شبكة التلغراف التي انهت عزلة ايران مع العالم الخارجي، وسمحت بدخول الافكار والمفاهيم الاوربية الحديثة الى البلاد، وظهور فئات اجتماعية جديدة، اسهمت كلها في ازدياد وزن السوق في الحياة السياسية للبلاد، والى تفاقم التناقضات الاجتماعية. ولعل من ابرز نتائج تلك التغيرات ظهور طبقة وسطى غدت تنمو وفق ايقاعٍ سريعٍ للغاية، وباتت اهدافها، وبالتالي مصالحها، تتناقض تدريجياً مع نظام القاجار الاقطاعي.

فلا غرابة ان نجد اوساطاً عديدة منها مستعدة للانخراط في اي حركة من شأنها تقويض النظام القاجاري المنحل، حتى ولو كانت هذه الحركات تمثل طابعاً غريبا في بابها، كما هو الحال مع الحركة البابية التي ايدها الكثير من الحرفيين، لانها دعت الى مقاومة الاستبداد الشاهنشاهي، والسيطرة الاجنبية، والى حرية التجارة واصلاح طرق المواصلات.

وقاد فشل القاجار في الاستجابة للتحدي الغربي، وانقياد عمليات التحديث والتجديد نحو اتجاهات مغايرة تماماً لتلك التي استهدفتها في البداية، الى اتجاه الدولة نحو مزيد من القمع تجاه المجتمع بدلاً من تقوية المجتمع في مواجهة الضغوط الغربية. وبالمقابل تم منح المزيد من الامتيازات للاجانب، وتعمق التغلغل الغربي في البلاد اكثر فاكثر، مما عمق التناقض بين نظام القاجار والمجتمع، الامر الذي كان يُنبئ بأن تغييراً جذرياً بات يلوح في الافق، قد يعصف بهذا النظام والاوساط التي تقف وراءه. وهذا ما جعل من قوى داخلية وخارجية معينة تميل الى تغييرٍ من نوعٍ ما، يحول دون اتجاه الاحداث بالضد من مصالحها. وهذه حقيقة موضوعية يجب الوقوف عندها عند تقويم التغيير الذي شهدته ايران في اواسط العقد الثالث من القرن العشرين عندما قام رضا خان بانقلابه الشهير في شباط عام

الهوامش:

(1)عُرفت تاريخيا ايضاً بأسم " حملة بطرس على ايران".

(٢) نشبت الحرب الايرانية- الروسية الاولى عام ١٨٠٤ وانتهت العام ١٨١٣ بتوقيع معاهدة كولستان التي تألفت من ١١ مادة، بموجبها تنازلت ايران لروسيا عن الكثير من الاراضي، ومنحتها امتيازات كبيرة.

(تيموري،١٣٣٢، ص٢٣٩؛ Hurwitz,1959,PP.84-86; Ramazani ,1966, p.45)

(٣) شارك كوجك خان في الثورة الدستورية. قاد في الحرب العالمية الاولى الحركة التي عرفت باسم "الجنكلية" اي الغابة، لان اعضائها اتخذوا من غابات كيلان مقرا لهم. تعاونت الحركة مع الالمان والعثمانيين. (فخرائي، ١٣٤٤؛ بيك،١٣٣٩،ص١٧١؛

Cottam,1964,P.104; Abrahamian,1982,P.161)

(٤) من اسرة تجارية معروفة، زار منذ صباه روسيا، واحتك هناك بالافكار الاشتراكية . أُنتخب نائباً عن اذربيجان في المجلس الثاني لعام ١٩٠٩. وقف بثبات ضد كل انواع التدخل الاجنبي في ايران. ادى دورا بارزاً في الثورة الدستورية، وشارك بقوة في مواجهة القوات العثمانية والروسية التي احتلت شمال ايران في الحرب العالمية الاولى. ("جند نفر دوستان واشنايان او"، ١٣٠٤، ص٢٣-٢٥؛ كسروي،١٣٣٣ص ٨٩٤-٨٩٧؛ مكي،د،ت،ص ١٢-١٦ ؛ Abrahamian,1982,PP.112-113).

(٥) مقر الحكومة البريطانية في لندن.

المصادر والمراجع

الوثائق

الوثائق غير المنشورة

الوثائق البريطانية

F.O. 371/15411,(October 1877): from British Consul in Tehran to F.O,.
F.O. 371 /15411,(October 1931): From British Consul in Tehran to F.O,.
F,O., 371/16949,(October 1931): The Future of Persia,.
I.O.R.L/ P+S/10/482,(March 1915): p. Cox to I.O. tel. No. 496,.
I.O.R.L/ P+S/10/482,(March13, 1915): p. Cox to I.O. tel. No. 497,.
I.O.R.L/ P+S/10/482,(March13, 1915): p. Cox to I.O. tel. No. 500,.
I.O.R.L/ P+S/10/482,(April 19, 1915): p. Cox to I.O. tel. No. 919,.
I.O.R.L/ P+S/10/482,(April 20, 1915): p. Cox to I.O. tel. No. 919,.

الوثائق المنشورة

الوثائق البريطانية

"Documents on British Foreign Policy 1919-1939"(1963): First Series , Vol. XIII,London.
"Documents on British Foreign policy 1919 -1939 "(1963): First Series,Vol,1V,London.

الوثائق الامريكية

" American Documents"(August 11, 1919): Vol.II , The Minister in Persia to the Secretary of State , tel. No. 741, 91/21.
"American Documents"(August 13, 1919): Vol.II, The Minister in Persia to the Secretary of State , tel. No. 741, 91/21.
"American Documents"(August 13, 1919): Vol.II , The Minister in Persia to the Secretary of State , tel. No. 741, 91/23.

المراجع الوثائقية

Bryson,T.A(1977): American Diplomatic relation with the Middle East 1748 -1975, A survey , New Jersey .
Hurwitz,G(1959): Diplomacy in the Near and Middle East. A Documentary record 1535-1914,Vol.1,Princeton.

الرسائل والاطروحات

باللغة الانجليزية

Sadeghi, Ghafur(1971): An Historical Analysis of the development of the administrative structure of higher education in Iran from 1900-1971(PhD),Michigan.

المصادر والمراجع الفارسية

بيك، اسد(١٣٣٩): نفت وخون در شرق، ترجمهٔ محمد حسين جهانباني، تهران.

تيموري، ابراهيم(١٣٣٢): عصر بي خبري ياتاريخ امتيازات در ايران، تهران.

"جند نفر دوستان واشنايان او. شرح حال واقدامات شيخ محمد خياباني"(١٣٠٤): برلين.

طاهري، ابو القاسم(١٣٤٥): تاريخ روابط بازركاني وسياسي ايران وانكليس، جلد دوم، تهران.

فخرائي، ابراهيم(١٣٤٤): مرزا كوجك خان سردار جنك، تهران.

كسروي، احمد(١٣٣٣): تاريخ هيجده سالهٔ ازربيجان بازمانده تاريخ مشروطيت ايران ، جاب دوم، تهران.

كسروي، احمد(١٤٤٦): تاريخ مشروطهٔ ايران، جاب هفتم ، تهران.

مكي، حسين(د.ت): تاريخ بيست سالهٔ ايران، جلد اول، تهران.

يزدي، محمود افشار(١٣٥٨): سياست اوربا در ايران، ترجمهٔ سيد ضياء الدين دبشيري، تهران.

المصادر العربية والمعربة

احمد، كمال مظهر(١٩٨٥): دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، بغداد.

(Ahmad ,Kamal Mazhar(1985):Riza Mazandarani and the Iranian throne. Quoted in: Kamal Mazhar Ahmad, Studies in modern and contemporary Iran,Baghdad.)

الكسييف، م. واخرون(١٩٧٤): موجز تاريخ الاتحاد السوفييتي، ترجمة محمد الجندي، موسكو.

(Alekseyev,M and Others(1974): A short history of the Soviet Union, translated by Mohammed Al- Jundiu, Moscow)

امين،عبد الامير محمد(١٩٧٧): المصالح البريطانية في الخليج العربي ١٧٤٧-١٧٧٨، ترجمة هاشم كاطع لازم، بغداد.

(Amen, Abdull Amir Mohammed(1977):British Interests in Arabic Gulf 1747-1778, Translated by Hashim Gatie Lazim,Baghdad)

البيضاوي، خيرات(١٩٥٤): ايران ترقص على كف عفريت، بيروت.

(Albaydawi,Khayrat(1954): Iran is dancing on Goblin palm,Beirut)

شويل، فوزي خلف(١٩٨٥): ايران في سنوات الحرب العالمية الاولى، البصرة.

(Shwyl, Fawzi Khalf(1985): Iran in the First World War, Baghdad.)

الصراف، زكي(١٩٧٨): المقالة الصحفية في الادب الفارسي ، بغداد .

(Alsarraf.Zaki(1978):The News Paper Article in the Persian Literature, Baghdad)

صفري، حميد(١٩٦٩): النفط يستعبد ايران ، ترجمة عبد الرزاق الصافي ، بغداد.

(Hamid, Safari, The Oil Enslave Iran, Translated by Abdul Razzaq Alssafi,Baghdad)

العابد، صالح محمد(١٩٧٩): موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨-١٨١٠، بغداد.

AL-Abid,Saleh, The British Position toward the Freanch Actives in Arabic Gulf 1798-1810, Baghdad)(

قاسم، جمال زكريا(١٩٨٥): دراسة لتاريخ الامارات العربية في عصر التوسع الاوربي الاول ١٥٠٧-١٨٤٠، القاهرة.

(Qasim, Jamal Zakariaa(1985): Study of United Arab Emirates during the first European expansion 1507-1840, Cairo)

لوريمر، ج.ج(د.ت)، دليل الخليج، القسم التاريخي، ترجمة قسم الترجمة بمكتب امير دولة قطر، ج١.

(Lorimer, G.G(D.T): The Guide of Gulf, The History Department, Translated by the department of translation in The Amiri Diwan of the State of Qater, Part.1)

المصادر والمراجع باللغة الانجليزية

Abrahamian, E(1982): Iran between two revolutions, New Jersey.

Ahmad, Ishtiaq(1974): Anglo- Iranian relations 1905 -1919 . Bombay.

Amanat, A(1983): Abbot on Economy and Society of Iran 1866- Cities and Trade. Council 1847 ,London.

Avery, P(1965): Modern Iran, London.

Benjamin ,S.G.W(1987): Persia and The Persian, London.

Bill ,James. A(1984): The Politics of Iran , Groups, Classes and Modernization .Ohio.

Cottam ,R(1964): Nationalism in Iran, Pittsburgh(U. S. A).

Curzon, G.N(1966): Persia and the Persian Question, Vol. 1, second impression, London.

Essawi ,Ch(1971): The Economic history of Ira, Chicago.

Fatemi, N.S(1952): Diplomatic history of Persia 1917-1923 .Anglo – Russian Politics in Iran , New York.

Ishtiaq,1974

Jazani, B(1980): Capitalism and revolution in Iran, London.

Keddie, N(1966): Religion and Rebellion in Iran, The Tobacco protest of 1892,London.

Lockhart, L(1985): The fall of the Safavid dynasty and the Afghan occupation of Persia, Cambridge.

Mcdaniel, Robert A(1974): The Shuster Mission and the Persian Constitutional, Minneapolis.

Olson, W.M(1981): Anglo- Iranian relations during World War One , London.

Searight, Sarah(1979): The British in the Middle East , London.

Simmons,1983

Wilber, Donald(1955): Iran Past and Present, New Jersey.

Zemskovo,I.N and Others(1969): History of Soviet foreign policy 1917-1945 , Vol,1,Moscow.

المصادر والمراجع باللغة الروسية

Ageav,S.L(1971): Iran : Vneshnaya Politicai problem Nizavimosti (1925-1941) , Moskva.

(اغاييف، س(١٩٧١): ايران : السياسة الخارجية ومشاكل الاستقلال (١٩٢٥-١٩٤١) ، موسكو. باللغة الروسية).

“Iran. Ochirk noveyshey histori "(1971): Moskva.

(ايران . موجز التاريخ المعاصر ، موسكو ، ١٩٧١، باللغة الروسية).

Ivanov,M.S(1952): Ochirk Irana, Moskva.

(ايفانونف،م.س(١٩٥٢): موجز تاريخ ايران، موسكو. باللغة الروسية).

KulaginaL,M(1981): Ekspansia Angliskovo Imperialism V Iran V Kontse X1xNachalexx V,Moskva.

(كولاجين،ل.م(١٩٨١): تغلغل الاستعمار الانكليزي في ايران في نهاية القرن التاسع عشر– بداية القرن العشرين ، موسكو، باللغة الروسية).

البحوث والدراسات

باللغة الانجليزية

Gilbar, Gad G(1986): The opening up of Qajar Iran: Some economic and social aspects, " Bulletin of school of Oriental and African studies" , Vol . XLIX, part 1.

Helfgot,Leonard.M(1980):The structural foundations of the national Minority problem in revolutionary Iran, " Iranian Studies" , Vol.X111, Nos.1-4.

Nashat, Guity(November 1981):from Bazaar to Market : Foreign trade and Economic development in nineteenth century Iran , "Iranian Studies ", Vol. XIV,No.2.

Razi, G. Hossein(Winter1979): Genesis of party in Iran . A Case study of the interaction between the system and political parties , " Iranian Studies " Vol. III, No. 2.

Sheik Al- Islam, A.Reza(Winter 1971): The Sale of Honorary Titles In Qajar Iran 1858 – 1896 , " Iranian Studies " .No.6.